دراسة تاريخ تطوّرات مراسم العزاء في محرّم

السيد لطف الله جلالي[1]

خلاصة البحث

كانت ولا تزال مراسم العزاء في شهر محرم شعيرة من الشعائر الشيعيّة، وتحتلّ مكانةً مهمّةً عبر التاريخ الشيعيّ، ويمكن القول إنّها رمز يمثّل وجهة الشيعة كمذهب أتباع أهل البيت عليهم السلام.

تتناول هذه المقالة، بطريقةٍ وصفيّةٍ تحليليّةٍ، تاريخ تطوّر مراسم العزاء في أيّام محرّم الحرام، وبحسب نتائج هذا البحث، فإنّ مبدأ العزاء في محرّم متجذّر في سيرة أهل البيت عليهم السلام؛ حيث أكّد عليه الأئمّة عليهم السلام أيّما تأكيد، لكن قد طرأت على مرّ التاريخ، تغيّرات كثيرة في مراسم العزاء كمًّا وكيفًا، وتعود معظم هذه التغييرات إلى العصر الصفوي فما بعد، ويمكن اعتبار بعض هذه التطوّرات مشروعة بناءً على الأحاديث وسنّة الأئمّة التي تدلّ على شرعيّتها، لكن بعضها قد تعرّض لانتقادات من قبل علماء الشيعة بشكلٍ أو بآخر، وقد أصبحت تعزية محرّم تدريجيًّا من أهمّ الشعائر الشيعيّة على مرّ التاريخ، وهي تقام اليوم في الأماكن العامّة، فضلًا عن إقامتها في الأماكن الخاصّة والبيوت.

المفردات الرئيسة: عزاء الإمام الحسين عليه السلام، الشعائر، قراءة عزاء، ذكر المصيبة، إنشاد المراثي، التطبير، التعزية.

---

١. معهد المصطفى صلى الله عليه وآله الدولي للبحوث والدراسات، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة، هلمند، أفغانستان. البريد الإلكتروني: Syedlotfolah_jalali@miu.ac.ir.

مقدّمة

إنَّ الطقوس والمناسك الشيعيّة هي في الواقع رموز تمثّل وجهة الشيعة ومظهره كمذهبٍ إسلاميّ في ساحة المجتمع الإسلاميّ، وبالتالي فهي في غاية من الأهمّيّة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، مع أنّ المذهب الشيعي هو في الأصل مذهب فكريّ وكلاميّ تلعب فيه المعتقدات والمبادئ الفكريّة دورًا محوريًّا بحيث تميّزه عن الطوائف الإسلاميّة الأخرى، لكن على مدار التاريخ، هذه الطقوس والمناسك أصبحت تدريجيًّا هي السمة المميّزة للشيعة من غيرها؛ لكثرة حدوثها في المجتمع الشيعيّ؛ لذلك فمع أنّ المعتقدات الشيعيّة لم تفقد يومًا ما أثرها ولا تزال الجوانب الكلاميّة والعَقَديّة مهمّة للشيعة، بل بالأحرى تعتبر هي دعمًا للطقوس والمناسك الشيعيّة التي اكتسبت أهمّيّة متزايدة في الآونة الأخيرة، كيف لا وهي الرموز التي تمثّل وجهة الشيعة وحقيقتها؛ لذلك فإنّ مدى تأثير هذه الشعائر والمناسك كبير بقدر مديات الانحراف وكثرة احتمال الانزلاق فيها، وبالتالي فإنّ هذه الطقوس والمناسك تتطلّب دائمًا عنايةً جادّةً ودفع الضرر؛ لئلّا تنقلب هذه الطقوس على المعتقدات والمبادئ الفكريّة، فبدلًا من أن تكون منبثقة من الأصول الاعتقاديّة ، تكون هي التي تؤثّرفيها وتتحكّم بها.

ومن ناحية أخرى، فإنَّ مراسم محرّم الحرام وإقامة العزاء الحسينيّ هي من بين أبرز الشعائر والمناسك الشيعيّة في العالم الإسلاميّ، بل تقام خارج العالم الإسلاميّ وفي البلدان غير الإسلاميّة، حيث كانت هناك جالية من جاليات الشيعة، وأصبحت هذه المراسم عنصرًا مهمًّا في تحديد الهويّة الشيعيّة، كما تستوعب مراسم العزاء للإمام حسين عليه السلام فترة طويلة جدًّا، ويمكن أن تشمل من أسبوع إلى شهرين حسب المجتمعات والإمكانيّات المختلفة، وهي مراسم فريدة من نوعها من حيث التأثير والمشاركة العامّة فيها، وربّما لا تجد شيعيًّا في العالم، صغيرًا كان أم كبيرًا، ذكرًا كان أم أنثى، ألّا يشارك في هذه المراسم بطريقة أو بأخرى ولا يكون له حصّة من العزاء لسيد الشهداء عليه السلام، بل أكثر من ذلك،

فإنَّ مراسم العزاء لأبي عبدالله الحسين عليه السلام لا تنحصر في شهرَي محرّم وصفر، بل تقام ولو جزئيًّا في أيّام أخرى من العام خلال مناسبات مختلفة، خاصّة خلال مجالس تأبين للمتوفّين، بذكر المصيبة وإنشاد المراثي تارةً وإقامة التعزية واللطمية تارةً أخرى؛ فإنّ مراسم عزاء الإمام الحسين عليه السلام تحظى بأهمّيّة خاصّة في الحياة الاجتماعيّة الشيعيّة، وأصبحت اليوم من أبرز رموزها، ففي هذه المقالة، نشير أوّلًا إلى خلفيّة العزاء في شهر محرّم، ثمّ ننظر في القضايا والتطوّرات التاريخيّة الأخرى المتعلّقة بعزاء الإمام الحسين عليه السلام.

الأوّل: خلفيّة العزاء للإمام الحسين عليه السلام

لقد روي العديد من الروايات عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام التي تحثّ على إقامة العزاء على الإمام حسين عليه السلام؛ وفقًا لرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قد تنبّأ باستشهاد سبطه الحسين عليه السلام على أساس الأخبار الغيبيّة، وقد بكى على مقتل فلذة كبده،[١] كما أنّ ابنه الإمام السجاد عليه السلام ذكر مرارًا مصائب عاشوراء وأجرى فيها الدموع، وأنّ بعض الأئمّة المعصومين كالإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام قد أثنوا على الشعراء الذين ينشدون قصائد في رثاء أبي عبد الله عليه السلام ودعوا في حقهم،[٢] ناهيك عن تشجيع الشيعة على زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، وثمّة رواية عن الإمام الرضا عليه السلام، أنّه لما كان يحلّ هلال شهر محرم، لم يكن يرى أحدٌ أبا موسى بن جعفر ضاحكًا، بل كان مغمومًا وباكيًا على مصيبة جدّه المظلوم،[٣] كما ورد عن الإمام رضا عليه السلام وهو يوصي شيعته مثل ريّان بن شبيب أنّه لو أرادو البكاء فليبكوا على الحسين عليه السلام؛[٤] فإنّ البكاء وإقامة العزاء على الإمام الحسين عليه السلام وكذلك زيارة

١. المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار: ٤٤/ ٤٢١؛ شوشترى، جعفر، الخصائص الحسينية: ٢٥٢ـ٢٨٠.
٢. انظر: بن قولويه، جعفر، كامل الزيارات، باب ٣٢، ص١١٢؛ الطريحي، فخرالدين، المنتخب: ٤٨٣/٢؛ الأميني، عبدالحسين، الغدير: ٢٠٢/٢.
٣. الطريحي، المصدر نفسه.
٤. الصدوق، الأمالي: ١٢٩/٢٧ ـ ١٣٠.

قبره الشريف، هي من الأمور التي أكّدت عليها العديد من الروايات.[١]

ومع ذلك، لم يعثر المؤلّف على بيّنة تدلّ على أنّ مراسم محرّم في عصر الأئمّة المعصومين عليهم السلام كانت من الطقوس الشيعيّة، أو أن يكون المجتمع الشيعي في الكوفة أو قم أو بغداد قد أقاموا العزاء في محرّم، أو ورد في التاريخ أنّه مثلًا في مسجد الكوفة أو قم أو بغداد أو المدينة المنورة، قد اجتمعت الشيعة وأقاموا مجلس عزاء للحسين عليه السلام، ربما هذا، كان بسبب الوضع السياسيّ الحاكم على الشيعة في عصر المعصومين عليهم السلام؛ إذ لم يتمكّنوا من ممارسة شعائرهم الخاصّة،[٢] وليس هناك أيّ أثرٍ يدلّ على وجودها آنذاك سوى شواهد غير واضحة في بداية حركة التوّابين؛ حيث بدأوا حركتهم بإظهار الندم والبكاء على سيد الشهداء عليه السلام يزورون قبره باكين ونائحين،[٣] ولكن يبدو أنّه لا يمكن اعتبار البكاء والندب كمصداق من مصاديق الشعائر؛ إذ لا يدلّ دلالة واضحة على ممارسة طقوس، بل انعكاسًا لأحاسيسهم النزيهة والناشئة من صدقهم واستقامتهم على هذا المسار. نعم، يمكن اعتبارها واحدة من المظاهر البارزة للتعاطف الشيعي مع مصرع الحسين عليه السلام منذ السنوات الأولى من استشهاده عليه السلام؛ إذ كانت مأساة كربلاء لَكبيرةٌ على شيعة أهل البيت دائمًا.

على أيّ حال، يبدو أنّه للمرّة الأولى في القرن الرابع الهجري، عقدت الحكومتان الشيعيّتان البويهيّة والصفويّة مراسم العزاء رسميًّا؛ حيث أقامتا مجالس العزاء الحسيني كطقوس شيعيّة رسميّة، وربما كان الفاطميّون أكثر تقدّمًا وتطوّرًا في هذا المضمار، فقد أورد "المقريزي" أنّ الدولة الفاطميّة قد حددت يوم عاشوراء كيوم الحزن، وأغلقت

١. انظر: بن قولويه، المصدر نفسه: ١٠٩ ـ ١١٤؛ العاملي، الحر، وسائل الشيعة: ٢٢ (كتاب المزار): ٣٥٦؛ العاملي، السيد محسن أمين، إقناع الآثم على إقامة المآتم: ١٧٥ ـ ١٩٨.

٢. انظر: مؤسسة شيعه‌شناسى، سنت عزادارى ومنقبت‌خوانى در تاريخ شيعه اماميه: ٥٧ فما بعد.

٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ٤٦٢/٤.

الأسواق والدكاكين، فكانوا يبسطون في عاشوراء مائدة كبيرة تسمى (سماط الحزن)،[١] وكانت الشيعة تتوجّه إلى ضريح أم كلثوم والسيدة نفيسة أفواجًا، وكذلك إلى جامع الأزهر لإقامة العزاء وقراءة المراثي،[٢] وكان معزّ الدولة البويهي هو الذي أمر بإقامة عزاء محرّم لأوّل مرّة عند الشيعة رسميًّا وبشكل جماعي؛ بناءً على أمر من معزّ الدولة، عقدت مراسم العزاء في بغداد في العاشر من محرم اعتبارًا من عام (٣٥٢ ق)، واستمرّت منذئذٍ حتّى انقراض آل بويه في بغداد، فكانت الأسواق تغلق يوم عاشوراء بأمر من معزّ الدولة، وتمارس الشيعة طقوس الحزن والمأتم في مقتل الحسين عليه السلام، كما تبعثر النساء أيضًا شعرهنّ ويسوّدن وجوههنّ ويشققن جيوبهنّ ويرتدين الملابس السوداء ويخرجن من البيوت ويسيرون في أزقة المدينة ويلطمن على خدودهن في مأتم الإمام الحسين عليه السلام، وكانت مشاركة عدد كبير من الشيعة ودعم السلاطين البويهيّين لهم سببًا في عجز السنة من منعهم عن القيام بذلك.[٣]

ثمّ استمرّت هذه الطقوس في خفاء،[٤] في عهد السلاجقة ومن ثمّ المغول، إلّا أنّه في أواخر عهد المغول، وخاصّة في عصر التيموريين ومغول الهند في شرق العالم الإسلاميّ، وكذلك في أراضي الأتراك من آق قويونلو وقراقويونلو في الجزء الغربي من العالم الإسلاميّ، كانت مراسم العزاء تقام بشكلٍ محدود؛ حيث تمتّعت الشيعة بالقليل من الحرّية،[٥] لكن مع ظهور الصفويين وأخذ المذهب الشيعيّ صفة رسميّة في هذه الحكومة،

١. المقريزي، أحمد بن علي، الخطط: ٤٩٠/١.
٢. المصدر نفسه: ٤٣٠ ـ ٤٣٢.
٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٧٩/٧؛ ابن الجوزي، المنتظم: ١٥٠/١٤.
٤. وتجدر الإشارة إلى أنّ الحكام السلجوقيين لم يطبقوا سياسة موحدة تجاه الشيعة وكذلك مسألة العزاء. فكان بعضهم متشددين جدًّا ضدّها، لكن بعض الآخر كانوا متسامحين، وحتى بعض علماء السنة كانوا يمارسون سنة العزاء والبكاء في مصيبة الإمام الحسين عليه السلام بحضور بعض حكّام السلاجقة. [انظر: القزويني الرازي عبدالجليل، نقض: ١١٤، ٣٧٠]
٥. مؤسسة شيعه‌شناسي: ١٢٩.

تمّ إحياء مراسم العزاء بالكامل؛ حيث أصبحت أكثر نموًّا واتّساعًا، وظهرت العديد من الطقوس التي سنناقشها أدناه.

الثاني: تحوُّل العزاء شكلًا ومضمونًا اعتبارًا من العصر الصفوي

ثمّ مع إضفاء الصفة الرسميّة على المذهب الشيعي في بداية الحكم الصفوي، قد خرجت الشعائر والطقوس الشيعيّة من خلف ستار التقيّة، وأصبحت شأنها شأن سائر الشعائر الدينيّة كعيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الغدير...، وأصبحت مراسم العزاء في محرّم وصفر خلال العصر الصفوي، لا سيّما منذ انتقال العاصمة من قزوين إلى أصفهان تمارس بجدّيّة أكثر؛ حيث كان شخص الملك الصفوي وقادة الحكم يحضرون المراسم ويقيمون العزاء وفقًا لمعتقدات المذهب الشيعي،[1] وبالإضافة إلى ذاك، قد مرّت مراسم العزاء الحسيني بتطوّرات مهمّة في الشكل والمحتوى؛ حيث أضيفت إليها بعض الأعمال التي لم تكن مسبوقة في عزاء محرّم خلال عصر البويهيين والفاطميين، وهذا ما سنتعرّض إليه بشكل أوسع في هذا البحث، فكانت الشيعة قبل الصفويين، أي في عصر البويهيين والفاطميين، يشكّلون مواكب يردّدون فيها النوحات ويلطمون على الصدور، ويرتدون السواد أحيانًا، ويقدّمون المعزّين ما يسعهم من الطعام والشراب، وتارةً تسوّد النساء وجوههنّ ويشققن جيوبهنّ علامة على الحزن،[2] ولم يكن هناك شيءٌ أكثر من ذلك، لكن في العصر الصفوي، تمّت إضافة أشياء إلى مراسم العزاء مثل الضرب بالسلاسل، وقرع الطبول والصنوج، وحمل العلَم، وتسيير الحصان، والتطبير، ورمي الأحجار...، كما تمّ إحداث تغييرات فيها من حيث المحتوى؛ حيث التصق إليها بعض الأشياء غير التاريخيّة وغير الواقعيّة، ولا تزال بعض هذه الملحقات مستمرّة، وقد نُسخ

١. انظر: إيزدي، حسين، شكل‌گيرى وتحول مراسم مذهبى در عهد صفويه: ١٦٥ ـ ١٧١؛ بهرام‌نژاد، محسن، تاريخ فرهنگ و تمدن ايران در دوره صفويان: ٤٣٠ ـ ٤٥١.

٢. ابن الأثير، الكامل فى التاريخ: ٢٧٩/٧؛ ابن الجوزي، المنتظم: ١٥٠/١٤.

بعضها وعفا عليه الزمن، كما تعرّض عدد منها في بعض المناطق الشيعيّة لتغييرات أخرى ما جعلته أشد مما كان عليه.

لقد تأثّرت الشيعة في أنحاء العالم بشدّة بالثقافة الصفويّة متزامنًا مع العصر الصفوي وخارج أراضي هذه الدولة، خصوصًا في الهند وبعض المناطق الأخرى التي كانت تتمتّع بحرّيّة كاملة أو نسبيّة؛ إذ تأسّوا بهم بسرعة في ممارسة الأنماط الصفويّة المستخدمة في مراسم العزاء، ونظرًا لكثرة المراودات والمبادلات بين هذه الأراضي وشعوبها، فكانت الشيعة في تلك المناطق تعتبر أنفسها فكريًّا وهويّةً تابعة للشيعة الإيرانيين، وينظرون إلى إيران كعاصمة علميّة وفكريّة ومذهبيّة وثقافيّة لهم، وهكذا جرت الأمور بعد الصفويين - كما سبق ذكره في مبحث الحكومات - باستثناء عصر "نادر شاه" الأفشار الذي منع من إقامة العزاء، خاصة بعد غزو الهند؛[1] لكن بعد فترةٍ وجيزة خلال عصر الزنديّة والقاجار، تمّ استئناف مراسم العزاء على غرار العصر الصفوي، بل وحتّى ظهرت بعض الأشكال الجديدة من العزاء، كعرض التمثيليّة (ما يسمّى التعزية)، وفي هذا الصدد ننظر أوّلًا إلى أشكال العزاء، ومن ثمّ سنتناول تطورات العزاء من حيث المحتوى.

الثالث: أشكال وأدوات العزاء

وكما أنّ مجالس التأبين بين شتّى المجتمعات تقام حسب الثقافات المختلفة بأشكال وأنماط متفاوتة ولها طقوسها ورسومها وعاداتها، فكذلك في مجتمعات الشيعة، يقام العزاء على الإمام الحسين عليه السلام بأشكال مختلفة أيضًا، وكانت بعض هذه الأشكال، مثل البكاء وذكر المصيبة والندب والنياح، شائعة منذ أمدٍ بعيدٍ من عصر المعصومين عليهم السلام إلى يومنا هذا، وبالتالي فلا شكّ في مشروعيّتها، لكن بعضها الآخر قد ظهرت في فترات لاحقة، وتحديدًا منذ العصر الصفوي، ولا بدّ من إجراء بحوث حول شرعيّة بعضها كاللطم على

١. المرعشي الصفوي محمدخليل، مجمع التواريخ: ٨٤؛ مروي، محمدكاظم، عالم آراي نادري: ٩٨٢/٣.

الصدور، فعلى الرغم من عدم ورود دليلٍ عن طريق المعصومين عليهم السلام يثبت مشروعيّتها، لكنّها تعتبر من الأمور العاديّة ولا إشكال فيها، وهناك ممارسات أخرى كحركة الموكب بشكل دائريّ، واللطم على الصدور بإيقاع محدّد، أو ضرب السلاسل على الظهور (ما لم يؤد إلى إلحاق الضرر للجسم) تعتبر خالية من الإشكال، وذلك من باب "التسامح في أدلّة السنن" أو "أصالة الإباحة"، لكن هناك تساؤلات وإشكالات قد أوردتها علماء الشيعة والباحثين حول بعض أشكال العزاء التي ظهرت خلال العصر الصفوي فما بعد، وقد أفتى بعض علماء الشيعة كالمقدس الأردبيلي، والسيد أبو الحسن الأصفهاني، والعلامة السيد محسن أمين العاملي قدس سره، وآية الله الخامنئي (دام ظله) والعديد من الفقهاء الآخرين على حرمة بعض أشكال العزاء، كالتطبير بالقامات، أو استخدام سلاسل ذات رؤوس حادّة، وفيما يلي بيان أهمّ أشكال العزاء الشيعي باختصار.

١. قراءة مجلس عزاء (بالفارسيّة: روضه خواني)

كانت أكثر أشكال العزاء شيوعًا في أوساط الشيعة منذ القديم هو ذكر المصائب التي صُبّت على سيد الشهداء عليه السلام وأصحابه وأهل بيته عليهم السلام، فكان هذا النوع من العزاء موجودًا منذ العصور القديمة، وقد مارسه الأئمّة عليهم السلام أنفسهم كذلك، فقد كان الإمام السجاد عليه السلام بصفته شاهدًا عينيًّا على هذه المأساة، ومتحمّلًا العديد من المصائب كالأسر والسجن وسوء معاملة العدوّ، يذكر هذه الأحداث مرارًا وتكرارًا إلى الصحابة والأصدقاء، أو أولئك الذين يتساءلون عن وقائع كربلاء ما إذا حلّت بأبيه وأصحابه وأهله في يوم عاشوراء، نحو ما ورد في المصادر الشيعية كالتالي:

وَخَرَجَ يَوْمًا زَيْنُ اَلْعَابِدِينَ عليه السلام يَمْشِي فِي أَسْوَاقِ دِمَشْقَ، فَلَقِيَهُ اَلْمِنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ: كَيْفَ أَمْسَيْتَ يَا بْنَ رَسُولِ اَللَّهِ؟ قَالَ: أَمْسَيْنَا كَمَثَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي آلِ فِرْعَوْنَ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ![١]

١. محمدي ريشهري وآخرون، محمد، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: ٢٦٨/٥، ح٢٤١٤.

كما قال الإمام الرضاعليه السلام في خطابه لابن شبيب، حول مقتل الإمام الحسينعليه السلام: «وذبحوه كما يذبح الكبش».[١]

وقد استمرّت هذه السيرة، بعد عصر المعصومينعليهم السلام أيضًا، فقد ألّف الملا حسين بن علي واعظ الكاشفي (ت: ٩١٠ ق) كتابًا سمّاه "روضة الشهداء" في البلاد الناطقة بالفارسيّة في عهد التيموريين؛ حيث تناول فيه مصائب شهداء كربلاء، فكان معظم النعاة الفرس يقرؤون المقتل من هذا الكتاب في مجالس العزاء، وهكذا ظهر شكلٌ معيّنٌ من أشكال النعي، يطلق عليه (قراءة روضة)، وبعد ذلك اليوم، أصبح كلّ أنواع النعي لسيد الشهداءعليه السلام وأصحابه وأهله وحتّى نعي الآخرين من أهل بيت النبيصلى الله عليه وآله تطلق عليه (قراءة روضة)، حتّى ولو لم يكن مطابقًا لما ورد في كتاب "روضة الشهداء"؛ لذلك فإنّ المصطلح الفارسي (روضه خوانى) يطلق على أيّ نوعٍ من ذكر المصيبة؛ لغرض إدخال حزن في قلوب المستمعين في مقتل أهل البيتعليهم السلام، وتعتبر (قراءة مجلس عزاء) من أبرز أشكال العزاء وأهمّها.

٢. اللطم على الصدور

ومن أهمّ الطقوس الشائعة في عزاء محرّم اليوم في جميع الأوساط الشيعيّة في أنحاء العالم هو اللطم على الصدور، ولا شكّ في أنّ الضرب على الرأس أو الوجه أو الصدر قيامًا أو على الركبتين والفخذين قعودًا هو من أقسام ردود فعل الطبيعيّة في حالات الحزن الشديد، وقد يكون هذا بسبب ثورة المشاعر والشعور بالحزن وزيادة الهمّ والغمّ، لكن هذه الحركة لا تستمرّ بطبيعة الحال، بل تنتهي بضربةٍ واحدةٍ أو أكثر؛ لذلك يمكن القول: إنّ أصل هذا التصرّف حالة من الحالات الطبيعية، لكنّها ليس من الواضح متى وكيف أصبحت هذه الحركة من عادات العزاء، بل صارت من أهمّ مظاهر الحزن وأشكال العزاء في شهر محرم.

١. الصدوق، عيون أخبار الرضاعليه السلام: ١/٥٥، ح٢٩٩.

وقيل: إنّ الحكّام البويهيين هم الذين أدخلوا هذه العادة ضمن أنماط العزاء للإمام الحسين عليه السلام لأوّل مرّة، واستنادًا لهذا الادّعاء، كان اللطم على الصدور وربط الياقات السوداء يعتبران من تقاليد الحداد الإيرانيّة (قبل الإسلام)، وقد استخدمهما حكّام آل بويه في عزاء الإمام الحسين عليه السلام أيضًا،[1] ومع ذلك كان اللطم على الصدور شائعًا جدًّا في العصر الصفوي، وكان الناس يلطمون بشكلٍ جماعيّ يوم عاشوراء، يدورون في مواكب مختلفة، حول الساحة الأصليّة للمدينة وأمام بوّابة القصر والمسجد الجامع، ويتفرّقون بعد قراءة الدعاء والصلاة،[2] وقد اعتبر منذئذٍ اللطم على الصدور من السنن الأصليّة للعزاء الشيعيّ في أشكال مختلفة.

٣. إلقاء المحاضرة وارتقاء المنابر

إنّ إقامة مجلس الوعظ والخطابة والمحاضرة على المنبر هي من أهمّ أجزاء العزاء الشيعي في شهر محرم على مرّ التاريخ والتي يلتزم بها علماء الدين، لشرح فلسفة القيام الحسينيّ وتحليل الأحداث التاريخيّة في عاشوراء، جنبًا إلى جنب مع تعليم المعارف الدينيّة والأحكام الشرعيّة، ويمكن اعتبارها كمدرسة عامّة يتعلّم عموم الناس فيها التعاليم والأحكام الدينيّة؛ إنّ سنة إلقاء المحاضرة وارتقاء المنبر رغم أنّها ليست تعزية في نفسها، لكنّها أصبحت جزءًا لا ينفك عن مجلس العزاء الشيعيّ في مُصاب الإمام الحسين عليه السلام وسائر المناسبات الدينيّة، فهي من نقاط القوّة الرئيسيّة لمجلس العزاء؛ إذ تُخرجه من كونه عاطفيًّا بحتًا، بل تضفي عليه طابعًا علميًّا ومعرفيًّا، وما يستنبط من التاريخ هو أنّ استخدام الوعظ والمنبر والخطابة كان شائعًا أيضًا منذ العصر الصفوي على أقلّ تقدير؛ حيث كان الناس يستفيدون من وجود العلماء والخطباء والوعاظ الدينيين في مجالس العزاء.[3]

١. مرعشي، ظهيرالدين، تاريخ گيلان و ديلمستان: ٢٢٣.

٢. دلاواله، بيتر، سفرنامه بيتر دلاواله: ١٢٥؛ كاري، جملي، سفرنامه كاري: ١٢٥؛ تاورنيه، جان باتيست، سفرنامه تاورنيه: ٨١ ـ ٨٢.

٣. فيغوئروا، دن‌غارسيا دسيلوا، سفرنامه: ٣٠٩ ـ ٣١٠؛ فرير، رانلد دبليو، برگزيده و شرح سفرنامه شاردن: ٢١٤؛ شاردن، جان، سياحت‌نامه شاردن: ٤٥/٤؛ كمبفر، انغلبرت، سفرنامه كمبفر: ١٨٠.

٤. النياحة

قراءة النوح والنعي هي من أركان العزاء التي كانت شائعة منذ عصر المعصومين عليهم السلام، وكان الشعراء ينشدون قصائد ومراثٍ في رثاء الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بغية إبكاء الناس،[١] والنياحة هي من الأشكال والمكوّنات الرئيسيّة لعزاء الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، والتي يبدو قد تمّ دمجها مع اللطم وضرب السلاسل والطبول والصنوج منذ عهد الصفويين، فبالإضافة إلى جانبها العاطفي وذكر المصيبة، فلها جانب فنّيٌّ أيضًا، وربّما أحد أسباب بقاء هذه السنّة هو هذ الجانب الفنّيّ بالذات، وقد شاع النعي والنياحة بلغات مختلفة بين الشيعة، منذ العصور القديمة إلى اليوم، وهي من المكوّنات الرئيسة للعزاء الشيعيّ، الذي ينمو ويتّسع باطراد.

٥. قراءة المناقب

كانت قراءة المناقب إلى جانب النياحة من أهمّ أشكال العزاء الشيعيّ قبل الصفويّين، والتي كانت شائعة في العصر الصفوي إلى حدٍّ ما، ففي قراءة المناقب في عاشوراء، يقوم قارئ المناقب أو المدائح بذكر الخصال والسجايا الأخلاقيّة، بل الامتيازات الجسديّة والروحيّة للإمام الحسين عليه السلام وأبي الفضل العباس وسائر أبطال كربلاء، وأحيانًا خصائص سائر الأئمة عليهم السلام ولا سيّما الإمام علي عليه السلام، واعتبارًا من العصر الصفوي، كان في بعض الأحيان تُطرح مباحث غير واقعيّةٍ وجانبيّةٍ ضمن المناقب، بل وأحيانًا ينخرط قارئ المنقبة والناعي في متاهة الغلوّ، أو في مسائل ظاهريّة بحتة.[٢]

٦. الضرب بالسلاسل

إنّ الضرب بالسلاسل هو شكلٌ آخر من أشكال العزاء في محرّم وصفر، وهو أمرٌ شائع في بلدان مثل إيران والعراق والبحرين وباكستان وأفغانستان والهند، وأمّا السلاسل

١. انظر: الشهرستاني، السيد صالح، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام.
٢. كاشاني، حبيب‌الله شريف، وسيلة المعاد: ١٧٤ ـ ١٧٧.

المستخدمة في العزاء على نوعين: سلاسل ذات رؤوس حادّة وسلاسل عادّيّة، وليس هناك أيّ تقريرٍ تاريخي يدلّ على وجود هذه العادة في العصر الصفوي أو ما قبله، ولم يتحدّث أيّ من الرحالة نحو: "جان شاردين" و"بيتر ديلاوله"، الذين سافروا إلى أصفهان في القرنين العاشر والحادي عشر، عن الضرب بالسلاسل، رغم تقريرهم المفصّل عن طقوس العزاء هناك، فليس من الواضح مَن أبدع بالضبط هذا النوع من العزاء لأوّل مرّة، وكيف تمّ إبداعه، ومتى انتشر تحديدًا بين الشيعة؟ يبدو الأمر كما لو أنّ التقرير الأوّل عن الضرب بالسلاسل هو يتعلّق بعصر ما بعد الصفويّة، كما قدم "أوجن فلاندن"، الذي كان في إيران خلال الأعوام ١٢٥٦ ـ ١٢٥٧ق / ١٨٤٠ ـ ١٨٤١م، تقريرًا عن الضرب بالسلاسل في طهران ما يدلّ على أنّه كان شائعًا بين الناس،[١] ويبدو أنّ ثقافة السلاسل قد دخلت العزاء الشيعي من الهند وكشمير؛ لأنّ التقارير الأولى عن سلاسل في طهران كانت مرتبطة بمجموعة من قبائل البربر الكشميري والكابلي المقيمين في طهران،[٢] ومنذ ذاك الحين ظهرت العديد من التقارير عن الضرب بالسلاسل،[٣] وقد أفتى بعض علماء الشيعة مثل: السيد أبي الحسن الأصفهاني قدس سره والسيد محسن الأمين العاملي قدس سره بحرمة استخدام السلاسل في العزاء.[٤]

٧. استخدام الطبل والصنج والبوق

تستخدم الدفوف، والطبول، والصنوج والأبواق في معظم أنحاء إيران وفي بعض البلدان الأخرى خلال إقامة العزاء الحسيني، وخاصّة في مواكب اللطميّة، وليس

١. فلاندن، أوجن، سفرنامه: ١٠٢.

٢. المصدر نفسه.

٣. انظر: باقي، عمادالدين، «زنجيرزنى»، دائرةالمعارف بزرگ اسلامى، مقتبس من موقع دائرةالمعارف بزرگ اسلامى، https://cgie.org.ir/fa/article/257521

٤. انظر: العاملي، التنزيه لأعمال الشبيه: ١٧١/٢.

لاستخدامه تاريخ طويل جدًّا،[١] فقد بدأ استخدام هذه الأدوات ليصبح شائعًا في المناطق الجنوبيّة من إيران، وخاصّة بوشهر، ثمّ توسّع إلى كلّ من إيران وغيرها من المناطق الشيعيّة. وقيل: إنّ الصنج والدمام (الطبل) قد دخلًا عن طريق الهند أو زنجبار إلى بوشهر،[٢] وإنّ أدواتٍ كالدف والطبل والصنج والبوق، والتي تستخدم بشكل أساس لتنسيق المواكب وتنظيم حركة المعزين، ليس لها ثمرة سوى التلوث الصوتي، وقد عارض بعض العلماء كالشيخ عباس القميﷺ استخدامها في العزاء،[٣] بينما أجازها بعضهم الآخر كالميرزا محمد حسين النائينيﷺ.[٤]

٨. التطبير وربط القفل ورمي الحجر وما شابه

تقوم الشيعة في بعض مناطق إيران والعراق وسائر البلاد الشيعيّة، بأمور أغلبها مستحدثة في مراسم العزاء تعاطفًا مع شهداء كربلاء وأسرى أهل البيتﷺ، وهي محلّ بحث ونظر لدى علماء الشيعة، منهم من أجازها ومنهم من حرّمها، ومن تلكم الأمور هو أنّ بعض المعزّين في مناطق من إيران أو العراق أو غيرهما، يطبّرون (يضربون) بسيف أو قامة كبيرة على رؤوسهم أو رؤوس غيرهم بما فيهم الأطفال، بحيث يشقق الجلد ويتدفّق الدم، ولا يصل السيف (غالبًا ما) إلى عظم الرأس أو الجبهة، مع ذلك في بعض الأحيان يمكن أن يسبب إصابة شديدة وحتى يؤدّي إلى الموت، ومنها: ربط القفل، والذي كان سائدًا في بعض مناطق إيران في عصر القاجار؛ حيث كان بعض الناس يفتحون قفلًا ويدخلون رأسه في مناطق حساسة من الجسم مثل الحلمات، بحيث يتعلق القفل بأجسادهم، وهم يتنقلون هنا وهناك،[٥] ومنها رمي الحجر الذي كان رائجًا في مناطق

١. انظر: مسعودي نيا، علي، «سنج»، دائرة المعارف بزرگ اسلامى: https://cgie.org.ir/fa/article/257715

٢. أحمدي ريشهري، عبدالحسين، «دمام»، مجله مقام موسيقايي، العدد ٢٠/٢٤.

٣. القمي، الشيخ عباس، «اصلاح سوگوارى»، عاشورا، عزادارى، تحريفات: ١٦٥ ـ ١٦٦.

٤. رباني خلخالي، علي، عزاداري از ديدگاه مرجعيت شيعه: ٥٥.

٥. آجند، يعقوب، نمايش در دوره صفوى: ٦٥؛ مظاهري، محسن حسام، رسانه شيعه: ٧١.

كأردبيل وأصفهان كما ورد في التاريخ، فكان رماة الأحجار مجموعة من الأشخاص بيدهم قطعتان من الخشب المستدير أو العظام أو الأحجار، فيرمونها نحو الآخرين بإيقاع محدّد، أو يضربون بها على صدورهم وهم يرددون بعض اللطميات، وكان هؤلاء الأشخاص يعرون أجسامهم سوى عوراتهم ويدهنون أنفسهم بالزفت أو الفحم الأسود واللامع، أو باللون الأحمر.[١]

وليس هناك تاريخٌ دقيقٌ لظهور مثل هذه العادات، ويبدو الأمر كما لو أنّ عادات كاستخدام الحجر والقفل في العزاء كان سائدًا منذ العصر الصفوي، كما تدلّ التقارير أعلاه عن وجودها آنذاك، فقد أورد بعض علماء الشيعة كالميرزا عبدالله الأفنديﷺ، صاحب شرح "حال‌شناختى رياض العلماء"، والأستاذ جعفريان صاحب "تحفة فيروزية" تقريرًا مفصّلًا عنها، ولكن لم يتمّ نشره بعد، حول دخول هذه العادة الغريبة العزاء؛ حيث يقول:

> **منذ سنواتٍ عديدة، كانت ولاتزال سنّة الملوك والسلاطين الصفويين، بُنيت على أنّ في العقد الأوّل من محرم الحرام، وخاصّة في يوم عاشوراء، في جميع مقاطعات إيران، بل وفي كل يوم، وفي كلّ عام، أن تضاف مجموعة من العادات والأنماط الغريبة إلى الأنماط السابقة وهلمّ جرا.**[٢]

ومن هنا، فليس هناك شكّ في أنّ معظم هذه الطقوس قد تمّت إضافتها اعتبارًا من العصر الصفوي، بل وحتّى بعد ذلك العصر، وأمّا من أين أتت هذه الطقوس؟ وما منشأها؟ فهناك العديد من الآراء: يرى بعض أنّها دخلت من قبل المسيحيّة؛ حيث يحتفلون بما يسمّى "مصائب المسيح" تعظيمًا له،[٣] وقد ذهب الآخرون إلى أنّها تقاليد عربيّة تبقت من الثقافة العربيّة، ويعتقد الآخرون أنّ هذه الطقوس قد تسرّبت إلى

١. آجند، المصدر نفسه: ٦٥ ـ ٦٦؛ اولئاريوس، آدام، سفرنامه: ١١٢ ـ ١١٣.
٢. انظر: جعفريان، رسول، صفويه در عرصه دين، فرهنگ و سياست: ٤٦٤/١ ـ ٤٦٥.
٣. شريعتي، علي، تشيع علوي و تشيع صفوي، في مجموعة الآثار: ١٧٠/٩ ـ ١٧١.

أعراف المسلمين من خلال الهند وهي طقوس هندوسيّة،[١] وأخيرًا، تعتبر المجموعة الرابعة أنّ هذه العادات مستمدة من الأتراك في أذربيجان وقزلباش الأناضول،[٢] ولكنّ الأصح هو أن نعتبر لكلّ من هذه العادات أصول منفصلة، فقد اشتق بعضها من المسيحيّة، وبعضها من الأتراك في أذربيجان والأناضوليا، وبعضها من الهند والهندوسيّة، ومن المستبعد جدًّا أن تكون هذه الطقوس قد استمدّت من التقاليد العربيّة، ويكون لها سابقٌ في تاريخ العرب.

٩. التعزية

هناك أشكال أخرى من العزاء ما شاع في القرون الأخيرة، وهي مراسم التعزية (التشبيه) أو عرض التمثيليّة، والتي لا يصل تاريخها حتّى إلى العصر الصفوي، فلم يكن في العصر الصفوي، مراسم التعزية شائعة على شكل مسرحيّة وتمثيل الناس دور أبطال كربلاء، ولم يرد عنه أي تقرير في التاريخ. نعم، وردت بعض التقارير التي تشير إلى أمورٍ مثل: رسم بعض مشاهد كربلاء على اللوحات وإظهارها في يوم العزاء في العصر الصفوي،[٣] أمّا عرض التعزية بهذا الشكل، فأخذت في الشيوع في بعض مناطق إيران منذ عصر الزندية، وبلغت ذروتها في عصر القاجار،[٤] ويجري حاليًّا في مناطق كثيرة من إيران والعراق وبعض البلاد الشيعيّة الأخرى، كما هو الحال بشأن استعراض فرسٍ كذي الجناح وتزيينه في بعض مناطق الهند وباكستان وبلدان أخرى.

١٠. العَلَم والخيل والبيرق والنخل

ومن المكوّنات المهمّة الأخرى لمراسم العزاء اليوم في العديد من المناطق الشيعيّة هي

١. آجند، المصدر نفسه: ٦٣.
٢. حيدري، أبراهيم، تراژدى كربلا: ٤٧٥؛ مظاهرى، المصدر نفسه: ٧٠.
٣. دلاواله: ١٢٤ ـ ١٢٥؛ بلوكباشي، علي، تعزيه‌خوانى حديث قدسى مصائب در نمايش آيينى: ٣٠ و ٣٢ ـ ٣٤.
٤. آجند، نمايش در دوره صفوى: ٨٧.

استخدام العَلَم (العلامة)، والخيل والطوق والبيرق والنخل؛ حيث تستخدم كشاراتٍ ورموز لبعض الحقائق أو الأحداث في كربلاء، حسب عادات المناطق الشيعيّة المختلفة، فإنّ بعض هذه العلامات والرموز شاعت في بعض المناطق أكثر، وبعضها تختصّ ببعض المناطق دون غيرها، وتختلف نوع الأشكال والألوان والزخارف وكيفيّة استخدامها باختلاف المناطق التي تستخدمها، وكذلك باختلاف العادات والمعتقدات حول كلّ منها، كما أنّ لبعض هذه الأدوات كالبيرق، المزيد من الخلفيّة التاريخيّة إذ كانت شائعة منذ العصر البويهيّ،[1] ولكنّه تمّ إلحاق معظمها إلى العزاء الشيعيّ خلال العصر الصفوي، ويبدو أنّ معظمها مستعارة من ثقافاتٍ أخرى، ويرى مشهور العلماء أنّ هذه العلامات مستمدّة من المسيحيّة ومراسم الحداد المسيحي.[2]

الرابع: مكوّنات محتوى العزاء ودخول بعض التحريفات فيه

ومن المكوّنات المهمّة المتعلقة بمراسم العزاء في المحرّم ما يتعلّق بجانب المحتوى في العزاء، فإنّ أمورًا كذكر مصائب شهداء كربلاء ورواية القضايا التاريخيّة، وكذلك إنشاد القصائد في رثاء شهداء كربلاء والمصائب التي حلّت بأهل الإمام الحسين عليه السلام، هي من جملة مكوّنات محتوى عزاء محرم التي كانت منذ عصر المعصومين عليهم السلام ولا تزال تستمرّ في مراسم العزاء لدى الشيعة الإماميّة، وقد أكّد عليها علماء الشيعة ولا شكّ في شرعيّتها، وكان علماء الشيعة يغتنمون مجالس العزاء كفرصة ذهبيّةٍ لبيان الأحكام الشرعيّة، وتفسير القرآن، وشرح تعاليم القرآن وأهل البيت عليهم السلام ومواعظهم؛ إذ تلعب هذه المجالس دورًا مهمًّا في توعية المجتمع الشيعي ونموّه الروحي من خلال المحافظة على أصالة المحتوى لعزاء محرّم، وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ شعراء الشيعة وغيرهم البارزين منذ عصر الأئمّة عليهم السلام حتّى الآن، قد ساهموا في غناء محتوى العزاء الحسيني من خلال قرض القصائد وإنشاد

١. ابن الجوزي، المنتظم: ١٧٩/٨.

٢. محدثي، جواد، فرهنگ عاشورا: ٣٤٦؛ نيازمند، رضا، شيعه در تاريخ إيران: ١٧٥.

المراثي حول مصرع الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه ومصيبة أهل بيته، الأمر الذي كان مدعومًا من قبل الأئمّة عليهم السلام وعلماء الشيعة، وبالتالي كانت قصائدهم ومراثيهم تستخدم دائمًا في مراسم العزاء، ومع ذلك، فإنّ القضيّة المهمّة هي أنّه على الرغم من الجهود التي بذلها بعض علماء الشيعة لحماية أصالة محتوى العزاء ومكوّناته الأصيلة، حصل هناك العديد من الانحرافات والتحريفات في مراسم عاشوراء ممّا تطرق إليها بعض العلماء كالميرزا حسين النوري رحمه الله في كتاب "اللؤلؤ والمرجان"، والشهيد مطهري رحمه الله في "الملحمة الحسينية"، وفيما يلي بعض التحريفات التي حدثت في مراسم العزاء الحسيني:

١. المبالغة في التأكيد على العناصر العاطفيّة والمأساويّة استنادًا إلى المصادر التاريخيّة غير الموثّقة.

٢. المبالغة في التأكيد على عطش الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهله بغيةَ إثارة المشاعر والإكثار من الحزن والبكاء.

٣. طرح بعض الأمور كمطالبات الإمام عليه السلام وأصحابه من العدوّ، بينما هي مخالفة لشأنهم.

٤. المبالغة في إسناد الجرائم والأفعال غير الواقعيّة إلى آل يزيد وجيشه وأهل الشام والكوفة.

٥. المبالغة في كيفيّة قتال الإمام حسين عليه السلام ووصف الأعداء الذين قُتلوا على يد الإمام وأصحابه.

٦. نقل الروايات الموضوعة حول بعض أحداث عاشوراء، كعرس قاسم بن الحسن عليه السلام.

٧. المبالغة في وصف جمال وأناقة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، خاصّة العباس وسائر شباب بني هاشم.

٨. تناول أساطير مثل قصة فضّة وزعفر الجنّي.

٩. إثارة الخلافات الطائفيّة والإساءة إلى مقدّسات أهل السنّة وتجريح مشاعرهم وتعزيز التعصبات المذهبيّة بين الفريقين الشيعة والسنّة.

١٠. الاهتمام بالظواهر وكيفيّة عقد المراسم وفرض بعض التكاليف الماديّة والمعنويّة على الناس، وإهمال الحقائق الدينيّة.[١]

١. انظر: النوري، حسين، لؤلؤ و مرجان، صفحات ٤٣ ـ ٨٧؛ مطهري، مرتضى، حماسه حسيني: ١١٢/٢.

وهناك الكثير من العوامل التي تسبّب هذه الانحرافات ولا يزال بإمكانها خلق تحريفاتٍ جديدة، لكن يبدو أنّ العوامل التالية لها أهمّية خاصّة:

أ. المدى الثقافيّ واللغويّ الشيعيّ في جميع أنحاء العالم الإسلاميّ وإمكانيّة تأثّر الشيعة في كلّ منطقة من ثقافة العزاء لدى جيرانهم المحليين.

ب. عدم ذكر العلماء الشيعة الموثوق بهم في القرون الأولى فلسفة عاشوراء وأسباب خروج الإمام الحسين عليه السلام.

ج. الافتقار إلى مصادر موثقة كافية وضروريّة حول حركة الإمام الحسين عليه السلام، وخاصّة عدم وجود المصادر الشيعيّة الكافية ورفع مستوى الوعي التاريخي للناس.

د. دور بعض الحكومات كآل بويه والسلاجقة وحركة سربداران، والتيموريين والصفويين والزند والقاجار في ترويج العزاء لاستغلاله لمصالح حكوماتهم.

هـ. المصالح والميول والمنافسات والأذواق الشخصيّة لقراء مجالس عزاء والنعاة والخطباء وغيرهم من القائمين على مجالس عزاء.

و. تسلّل أفكار باطلة عبر طوائف كالصوفيّة والغلاة وأهل السنّة إلى معتقدات الشيعة ومراسم العزاء الحسيني.

الخامس: أماكن العزاء

هناك مسألة مهمّة أخرى ترتبط بمراسم العزاء الحسيني وهو مكان العزاء، فلم يكن هناك مكان خاصّ لإقامة العزاء في زمن الأئمّة عليهم السلام وفي العصر البويهي وما قبل الصفويّة، بل كان المأتم الحسيني يقام في المساجد والمنازل، ولم يرد أيّ تقريرٍ تاريخيّ يدلّ على وجود أماكن خاصّة بالعزاء كالحسينيّات وما شابه، ولكن انطلاقًا من العصر الصفوي، تمّ تخصيص أماكن مؤقّتة ودائمة لإقامة العزاء فيها، فقد أنشئت أماكن ثابتة للعزاء في مناطق مختلفة من إيران والعراق وغيرهما والتي سميت (حسينية)، أي أنّها تأسّست أساسًا باسم الإمام

السنة الثالثة - العدد الرابع؛ ربيع - صيف ٢٠٢٢ م/ ١٤٤٤ هـ

الحسين عليه السلام وخصّصت لعزاء محرم، طبعًا كانت هذه الأماكن الخاصّة تسمّى أحيانًا (التكية) و(تكيه خانه) و(الهيئة)، كما هو الحال في مناطق مختلفة من الهند وتحت سلطة الحكام المحليين الشيعة في الهند، مثل الدولة قطب شاهية، وعادل شاهية، ونظام شاهية، ودولة أودة الشيعية، فكانت هناك أماكن خاصّة بعزاء الإمام الحسين عليه السلام، والتي سمّيت (إمام باره)، و(إمام باركاه) و(عاشورخانه)،[1] وكانت هناك أيضًا أماكن خاصّة بالعزاء في مناطق مختلفة من البحرين وشرقي المملكة العربيّة السعوديّة، والتي أطلق إليها اسم (مأتم)،[2] وفي مناطق من أفغانستان تسمّى هذه الأماكن المخصّصة للعزاء (الحسينيّة) و(المنبر) و(امام باره).[3]

كلّ هذه الأشكال المختلفة من الأماكن الخاصّة بالعزاء لا تزال قائمة في المناطق الشيعيّة، وبطبيعة الحال قد يكون لها بناء مختلف وهندسة معماريّة خاصّة تتناسب مع الثقافة المحلّيّة وكذلك حاجات وإمكانيّات الناس، فضلًا عن استخدام المساجد والمدارس أيضًا لإقامة العزاء فيها، وتجدر الإشارة إلى أنّه بالرغم من أنّ هذه الأماكن قد أنشئت أساسًا لأجل عزاء محرّم، إلّا أنّها تستخدم كمراكز ثقافيّة أيضًا؛ لذلك هذه الأماكن بالإضافة إلى العزاء، تستخدم للأنشطة الثقافيّة الأخرى مثل إقامة صلاة الجماعة اليوميّة، وتعليم القرآن، وتدريس الأحكام الشرعيّة، ومراسم التأبين للموتى، وجلسات ختم القرآن، وإلقاء المحاضرات الأسبوعيّة.

وبالإضافة إلى هذه الأماكن الثابتة للعزاء، تقام أيضًا أماكن مؤقّتة في موسم عزاء محرّم في مناطق مختلفة، خلال أيّام العشرة الأولى من محرّم أو في بعض الأحيان لمدّة عقدين من محرّم أو حتّى شهرين، كمثل الخيام والقاعات الكبيرة والأندية وما إلى ذلك لعقد مجالس العزاء في مدن وقرى مختلفة.

١. سميعي، مجيد، «أوده»، دائرة المعارف بزرگ اسلامى: ١٠/ ٤١٨؛ رضايي وآخرون، حسن، وضعيت‌شناسى شيعيان در جهان معاصر: ١٠٣/٤ ـ ١٠٧.

٢. نظري، داريوش، جامعه شيعيان بحرين: ٣٥٢ و ٢٥٤ـ٢٥٥.

٣. بختياري، محمدعزيز، شيعيان افغانستان: ٢١٦ به بعد.

السادس: الجانب المالي وتكاليف العزاء

وآخر ما يجب التنويه إليه حول العزاء في هذا المقال هو المسائل الاقتصاديّة وتكاليف العزاء، إنّ الجانب المالي للعزاء يعتمد إلى حدّ كبير على تبرّعات الناس ومساهماتهم، ومن أهمّ أشكال هذه التبرّعات والعطايا الشعبيّة هي سنّة الوقف الإسلاميّة، إذ إنّ الكثير من الموقوفات كانت بنيّة إحياء ثقافة العزاء،[١] ومع أنّ مساعدات الناس وإحسانهم كانت توفّر بعض تكاليف العزاء، لكن الدور الأكبر في هذا الجانب، كان من حصّة أصحاب السوق والتجّار والأثرياء الشيعة، وبالإضافة إلى عامّة الناس، وخاصّة الشيعة الأثرياء والأغنياء، كان هناك دعم مالي من قبل الملوك ورجال الحكومة في إقامة مواكب العزاء أو مساهمتهم في بناء الحسينيّات والتكايا، ناهيك عن مساهمة سكّان الأحياء في هذه الأمور من خلال تقديم الهدايا النقديّة وغير النقديّة، أو إعارة بعض الأثاث الضروريّة لتجهيز التكايا والمواكب، أو إطعام المعزين، ومن أهمّ مساهمات الناس لمجالس العزاء كان ذبح البقر والغنم والجمل والماعز، ونذر الطحين والأرز والزيت لبيوت العزاء، وكذلك إنشاء التكايا والحسينيّات، والتي تصل إلى ذروتها خلال موسم العزاء في شهر محرم.[٢]

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

١. أحمدي، نزهت، «كاركرد موقوفات در گسترش مراسم مذهبى دوره صفوى»، ١٣٨٥، ص٩ـ١٠؛ جعفريان، رسول، صفويه در عرصه دين، فرهنگ و سياست: ٩٠٥/٢.

٢. آجند، المصدر نفسه: ٨٥ ـ ٨٦.

نتيجة البحث

يمكن الاستنتاج من مجموع ما ذكر أعلاه، أنّ مراسم العزاء في شهر محرّم تحظى بأهمّيّة بالغة لدى الشيعة، هذه السنّة هي في الواقع أهمّ الشعائر الشيعيّة، والتي تمثّل أساسًا وجهة الشيعة كمذهب من المذاهب الإسلاميّة، وإنّ أصل العزاء في المحرّم، هو متجذر في سيرة أهل البيت عليهم السلام حيث وافق بل أكّد عليه الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ومع ذلك على مدار التاريخ - خاصّةً منذ العصر الصفوي فما بعد - طرأ العديد من التغييرات في كيفيّة مراسم العزاء وأدواته كمًّا وكيفًا، والتي يمكن اعتبار بعضها مستندة إلى الأحاديث والروايات وسيرة الأئمّة عليهم السلام، وبالتالي لا شكّ في شرعيّتها، وأمّا بعض الآخر فكان محلّ النقد والنقاش لدى علماء الشيعة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

مصادر البحث

١. ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٤١٤ق.
٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢ق.
٣. ابن قولويه، جعفر، كامل الزيارات، ترجمة: السيد محمدجواد ذهني الطهراني، طهران، بيام حق، ١٣٧٧.
٤. أحمدي ريشهري، عبدالحسين، «دمام»، مجلة مقام موسيقايي، العدد ٢٠، ربيع ١٣٨٢.
٥. أحمدي، نزهت، «كاركرد موقوفات در گسترش مراسم مذهبي دوره صفوى»، پژوهش‌هاى تاريخى، خريف وشتاء ١٣٨٥ش.
٦. أمين العاملي، السيد محسن، إقناع الآثم على إقامة المآتم، تحقيق: محمد البدري، قم، مؤسسة معارف إسلامي، ١٤١٨ق.
٧. ـــــــــــــــــ، التنزيه لأعمال الشبيه، صيدا، مطبعة العرفان، ١٣٤٧ق.
٨. الأميني، عبدالحسين، الغدير، بيروت، دار الكتب العربية، ١٤٠٣ق.
٩. أولئاريوس، آدام، سفرنامه أولئاريوس، مترجم: حسين كردبچه، طهران، كتاب براى همه، ١٣٦٩ش.
١٠. إيزدي، حسين وآخرون، شكل‌گيرى و تحول مراسم مذهبي در عهد صفويه، قم، معهد علوم و فرهنگ اسلامى للبحوث، ١٣٩٥ش.
١١. آجند، يعقوب، نمايش در دوره صفوى، طهران، منشورات الإرشاد الإسلامي، ١٣٨٥ش.
١٢. باقي، عماد الدين، «زنجيرزنى»، دائرة المعارف بزرگ اسلامى، مقتبس من موقع دائرة المعارف بزرگ اسلامى، على العنوان التالى: https://cgie.org.ir/fa/article/257521 (تاريخ الاستلام ١٤٠١/٧/٢٠).
١٣. بختياري، محمدعزيز، شيعيان افغانستان، قم، مؤسسه شيعه‌شناسى، ١٣٨٥ش.
١٤. برغو، محمدعلي و غلامزاده، صديقة، «عزادارى محرم در عهد صفوى؛ يک بررسى آسيب‌شناختى»، تاريخ إسلام، العدد ٦٣، خريف ١٣٩٤ق.
١٥. بلوكباشي، علي، تعزيه‌خوانى حديث قدسى مصائب در نمايش آيينى، طهران، أمير كبير، ١٣٨٣ش.
١٦. بهرام‌نجاد، محسن، تاريخ فرهنگ و تمدن ايران در دوره صفويان، طهران، سمت، ١٣٩٧ش.
١٧. تاورنيه، جان باتيست، سفرنامه تاورنيه، ترجمة: أبوتراب نوري، طهران، سنايي، ١٣٦٣.
١٨. جعفريان، رسول، اطلس شيعه، طهران، سازمان جغرافيايى نيروهاى مسلح، ط٣، ١٣٨٩ش.
١٩. جعفريان، رسول، صفويه در عرصه دين، فرهنگ و سياست، قم، معهد الحوزه والجامعة للبحوث، ط١، ١٣٧٩ش.

٢٠. الحر العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة، قم، مؤسسة آل البيت:، ١٤٠٩ق.
٢١. حسام مظاهري، محسن، رسانه شيعه، طهران، منظمة الإعلام الإسلامي للطبع والنشر، ١٣٨٧ش.
٢٢. حيدري، إبراهيم، تراژدى كربلا: مطالعه جامعه‌شناختى گفتمان شيعه، ترجمة: علي معموري ومحمدجواد معموري، قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٣٨١ش.
٢٣. دسيلوا فيغوئروا، دن‌غارسيا، سفرنامه، ترجمة: غلامرضا سميعى، طهران، نو، ١٣٦٣ش.
٢٤. دلاواله، بيتر، سفرنامه پيتر دلاواله، ترجمة: شجاع‌الدين شفا، طهران، شركت چاپ و نشر كتاب، ١٣٤٨ش.
٢٥. ربانى خلخالى، على، عزادارى از ديدگاه مرجعيت شيعه، قم، مكتب الحسين عليه السلام، ١٤١٥ق.
٢٦. رضائي، حسن وآخرون، وضعيت‌شناسى شيعيان در جهان معاصر، قم، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة، ١٣٩٤ش.
٢٧. سميعي، مجيد، «اوده»، سيدكاظم موسوى بجنوردى (بإشرافه)، دائرة المعارف بزرگ اسلامى، ج١٠، طهران، مركز دائرة المعارف بزرگ اسلامى، ١٣٨٠ش.
٢٨. شاردن، جان، سياحت‌نامه شاردن، ترجمة: محمد عباسي، طهران، أمير كبير، ١٣٣٦ش.
٢٩. شريعتي، علي، تشيع علوي و تشيع صفوي، في مجموعه آثار، ج٩، طهران، شركت چاپخش، ١٣٧٧ش.
٣٠. شريف كاشاني، حبيب‌الله، وسيلة المعاد: التعليقة على الوائد الرضوية، لا مكان، لا تاريخ.
٣١. شوشتري، جعفر، الخصائص الحسينية: ويژگى‌هاى امام حسين عليه السلام، ترجمة: علي كرمي، قم، حاذق، ١٣٨٠ش.
٣٢. الشهرستاني، السيد صالح، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام، تحقيق: نبيل علوان، قم، أنصاريان، ١٣٨٢ش.
٣٣. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، ترجمة: محمّدباقر كمره‌اي، طهران، كتابچي، ١٣٧٦ش.
٣٤. ـــــــــــــ، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ترجمة: علي أكبر غفاري وحميد رضا مستفيد، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ط٤، ١٣٨٧ش.
٣٥. الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٣٥٨ق.
٣٦. الطريحي، فخر الدين، المنتخب في جمع المراثي والخطب، قم، منشورات الرضى، بى‌تا.
٣٧. فرير، راندل دبليو، برگزيده و شرح سفرنامه شاردن، ترجمة: حسين هژبريان و حسن اسدى، طهران، بدون اسم، ١٣٨٤ش.
٣٨. فلاندن، أوجن، *سفرنامه، ترجمة: حسين صادقي، طهران، إشراقي*، ١٣٥٦ش.
٣٩. القزويني الرازي، عبدالجليل، نقض: بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض، تصحيح: ميرجلال الدين محدث الأرموي، قم، دار الحديث، ط١، ١٣٩١ش.

٤٠. القمي، الشيخ عباس، «اصلاح سوگوارى»، عاشورا، عزادارى، تحريفات، إعداد: مجمع مدرسين ومحققين حوزه علميّه قم، قم، صحيفه خرد، ١٣٨٥ش.
٤١. كاري، جملي، سفرنامه كاري، ترجمة: عباس نخجواني وعبد العلي كارنگ، تبريز، منشورات فرهنگ وهنر آذربايجان شرقى، ١٣٤٨ش.
٤٢. الكاشفي، حسين بن علي، روضة الشهداء، تصحيح: عقيقي بخشايشي، قم، نويد إسلام، ١٣٨١ش.
٤٣. كمبفر، انغلبرت، سفرنامه كمپفر، ترجمة: كيكاووس جهانداري، طهران، خوارزمي، ١٣٦٣ش.
٤٤. المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٠٣ق.
٤٥. محدثي، جواد، فرهنگ عاشورا، قم، معروف، ١٣٨٦ش.
٤٦. محمدي ريشهري، محمد وآخرون، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، قم، دار الحديث، ١٣٩١ش.
٤٧. المرعشي الصفوي، محمدخليل، مجمع التواريخ، تصحيح: عباس إقبال آشتياني، طهران، طهوري، ١٣٦٢ش.
٤٨. مرعشي، ظهير الدين، تاريخ گيلان وديلمستان، تصحيح: منوچهر ستوده، طهران، بنياد فرهنگ إيران، ١٣٤٧ش.
٤٩. مروي، محمّد كاظم، عالم آراي نادري، تصحيح: محمد أمين رياحي، لا مكان، مكتبة زوار، ط١، ١٣٦٤ش.
٥٠. مسعودي نيا، علي، «سنج»، دائرة المعارف بزرگ اسلامي، مقتبس من موقع دائرةالمعارف بزرگ إسلامي، على العنوان التالى: https://cgie.org.ir/fa/article/257715 (تاريخ الاستلام ١٤٠١/٧/٢٠).
٥١. مطهّري، مرتضى، حماسه حسيني، طهران، صدرا، ١٣٨١ش.
٥٢. مفتخري، حسين ورنجبر، محسن، «رويكرد احساسى ـ عاطفى به واقعه عاشورا در ايران: از صفويه تا مشروطه»، شيعه‌شناسى، العدد ٢٤، شتاء ١٣٨٧ش.
٥٣. المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ«الخطط المقريزية»، بغداد، مكتبة المثنى (قاسم محمد الرجب)، بلا تاريخ.
٥٤. مؤسسة شيعه‌شناسى، سنت عزادارى ومنقبت‌خوانى در تاريخ شيعه إماميه، مقدّمة بقلم: محمود تقي‌زاده داوري، قم، مؤسسة شيعه‌شناسى، ١٣٨٦ش.
٥٥. نظرى، داريوش، جامعه شيعيان بحرين، قم، مؤسسة شيعه‌شناسى، ١٣٩٩ش.
٥٦. النوري، حسين، لؤلؤ ومرجان، طهران، فراهاني، ١٣٨٣ش.
٥٧. نيازمند، رضا، شيعه در تاريخ إيران، طهران، قلم نوين، ١٣٨٣ش.